

بارتجاف ظل الصنوبر القرمزي الدافئ
المبق ومهاد الطحالب الخفية والسرخس
الرغبي

ويهبط ذيل السنجاب الرمادي حيناً
ثم لا يلبث إلا قليلاً حتى يقفز، وينطلق
طير الغابة منبثكاً من أغوارها في صمت،
وتتحرك الأشياء من سكون إلى سكون

وتبهج ومضات البهاء والرواء المنبشئين من عل
ومن حول القلوب الرقيقة الحساسة، فالقرب
اللهب، والمرنفعات القرمزية تهمل بروعتها على
الأشجار الملتفة

كل ذلك آية من آيات البهاء يبعثه الجمال العميق
المقيم، والنشوة الملوية التي لا تدين بالطاعة للمجد
الناشر ذوائبه هناك، فمن هذه النشوة يقفز الحمل
الصغير وقد استخفه الطرب، وتنشئ أرواح الرجال
اهبطى أيتها الشماعات العظيمة، وضئى الخليقة
بين ذراعيك بنيرانك للقيضة ثم اذكربنا، فأنت
وأضواء الرذيلة المترفة الفارقة في بحر لجي من النسيم
التي تنقدم بحوك، والمفاتيح السماوية، ما أنتن جميعاً
إلا سادة وعبيد للقناعة التي تعطلج في قراراتنا،
وتغور في أعماقنا

لأن هذا مثوى السحر ومهبط وحيه، فهنا
يتقابل أمير الجزيرة وأميرتها بميدبين عن الشيطان
المدوية الصاخبة، وهنا يجلسان كالبلبلين الماشقين،
وفي الميرون والآذان والأيدى يسكبان من روحيهما
كنوزاً زاهرة لا تنفد

دوري! أي عجالات الدنيا الطاحنة، إن مواخر
الجواري وهي تنزلق على صفحات اليم في هدوء،
والأنات التي خلقها النظم وصاغتها للبشر ختمت

تسليية خزمار

للأستاذ محمود مبروك

بقلم الأديب شفيق ذهني

لنترك جانباً نظم الحياة وأوضاعها الفاسدة .
دعنا ننشق عبير الجزيرة المسحورة ، فتحة ترقد
الروج الذهبية ، وثمة تجرى الجداول كالنضار ،
وثمة يترأى الذهب الوهاج على سوق أشجار الصنوبر
والشمس تنحدر سوب الأرض مجتازة الحقول
والأمواه

الشمس تنحدر سوب الأرض فتستقبلها الحقول
والأمواه بصيحات كأنها رنين الذهب السبيك ،
ولما تبرز من خدرها تسبقها بشارتها فتلمس أوراق
البوط والدلب وشجر الزان الزاهي الأخضر ،
وسوق البوط القافية تاركاً آثاراً متلاثة على الشيطان
المشوشبة حيث تميل كؤوس شجر الديجيتال
وتتجول عساليح الموسج بين الحشائش الكثيفة
المحضلة

ويستقر نفض الأشجار ، ومن ورائه تنبسط
الأرض بظلالها الوارفة المديدة عبر أشجار الخليج ،
وعلى ذرى التلال، حتى تضع الشمس أناملها الرقيقة
الوردية ، وترقد حيال أبمد حدود السحابة الشرقية
الصاعدة

ألا ما أعذب الخلوة البريئة في الأحراج حين
ينساب إليها الشماع في خفة ورشاقة ، فتتحرف
الطفاوات عن الدروب والمسالك وهي تهتز وتتلون

النشوة فيهما بزمارة ، أو أنار كوا من فؤاديهما
بيوقه ، أو لربما أدار لها فرقة موسيقية كاملة طربا
لها ، وهو لا يزال بمد الساحر الماكر

وتملكهما نشوة ما بعدها نشوة ، فعبا من
سلاف السعادة عبا ، مع أنها نفثت موسيقية أرضية
مدوية ...

ثم غابا عن الشعور ، وتاهتا في عالم مسجور ،
فلم يدريا شيئا عن كنه الباهج الأولى الفائقة الحد
التي تنبجس من الحواس المزهفة عندما ترتفع النفس
وتخلق الأرواح السامية في وجد وشغف لتطوف
متجردة غير منظورة ، حساسة لا حد لإحساسها
لقد وضع بين أيديهما غذاء سماويا فأكل منه
وتزودا ، وطفقا بعبان من رحيق كبير الآلهة حتى
ارتويا ... وهكذا جلسا إلى مائدة زرى خبز الحب
البسيط وماؤه عليها بأشعي المآذب وأحفلا بأطياب
الآكال والأشربة

اسكب الحب ألقانا من مزارك أيها الراعي
الصغير ، وأنت أيتها الملائكة النورانية انشري
أجنحتك وارفعي بالنفث أصواتك

لقد فاضت نفساهما بما يسمو على الفلسفة ، وبلغت
فطرتها ما آماد لا يدركها العلم ، إذ صيفا لجنت
الخلد صوغا

— إنها لنفمة سماوية ادخرها الله لي

هذا ما هتف به هاتف كل منهما وهما يتماقنان ،
فلقد تعلقت خواطرهما بأهداب نسيج واحد من
القائف والتوائن ، ولكم أضاء ما تصرم من سنين ،
وصيفا مستقبل حياتهما برائع الألوان
— أنت لي كما أنا لك

على قلوبهم فجلتهم لا يفتنون لساعات الجذل
الحقيقية ، فترتفع الحناجر مرعدة شكاياتها للعالم ،
ولكنك وأسقاء لا تسمعين هنا

إنه بناديهما باسمها لوسى ، وهى وقد تملكها الخمر
رغم شجاعتها تناديه باسمه ريتشارد ، وهذان الاسمان
هما مفتاحا الأنغام المجدبة التي تترنم بها الملائكة
في السماء

لوسى ! حبيبتي !

ريتشارد !

وهناك خارج نطاق الدنيا وعلى حدود الأجرار
ينفخ الراعي الصغير لحواء الساهرة الحاملة في مزاره
البسيط .

إن آلة الحب الموسيقية جد قديمة وضعيفة ،
وليس لها إلا أن تترنم بنفمة أو نغمتين ثم يمتصها
الفناء ، ولكنك ترى الساحر الماكر يحرك أوتارها
ويهزها أكثر مما نتمثل

لم يطرقا حديثا آخر إلا للاما ، إذ كان الفضاء
الذي يحتويهما والضوء الذي يترامى عليهما ، أشبه
بنور يترافص فوق زبد الأمواج المصطفقة وهى
تلس إحساسها المتبادل ، ثم لا يلبث حتى ينشر
ذوائبه ويتسع آفة أن ترتفع النفثات الجائحة ،
فتجاوب نفساهما ، ويصاغ من أناتهما الحانية الرقيقة
نغم واحد يرددها

لربما أجاد الحب إيقاع أنغامه ، لأنه أشجى
نفسيهما وأتارها ، فأمسيا متشوقين للنفثة المدخرة
في روحهما كزاد طبيبي

لقد رتق مشاعر الرجال والنساء وصقلها ثم
فتنهما بآله الموسيقية ، فكانما أسكرها وأشاع

فسرعان ما يأتيه جوابها بصوت ملائكي ساحر:
— وأنت لي وحدي ؟

وتنتقل أشعة رقيقة شفيفة إلى غبا السرخس
تحت حرج الصنوبر حيث يجلسان ، ويبحث عن
الجواب في عينيها وهي تتلفت صوبه هنيهة ، فترجف
عيناها ، ويختلج جفناها في خفر ، وتطرق استحياء
لأن روحها تبدو سافرة أمامه من خلال عينيها ...
لوسى ! زوجتى ! حياتى !

وينسج الليل خيوط ظلامه في اتساق على غصون
الصنوبر ، وتنتقل الأضواء الخفيفة وهي تطوف بهما
مصنية إلى وجبيهما ، فتصمت شفاتها ولا ينبسان
نوقف لحظة عن العزف أيها الحب ! ألا لتعزف
كيفما يحلو لك فإنك لن تستطيع التعبير عن قلبهما
الأولى ، فلا شيء يبدل عذوبتها ، ولا شيء يبدل
قداسها ...

أيها الملائكة التي في السماء ! أمام مزامير الجنة
الفضية تضمين أصابعك على جميع النغمات التي
لا يكون الحب إلا واحدة من نغماتها ، منها تسمينه
فيطرق أذنيك ...

وهكذا يصمت الحب !

وهناك في خارج نطاق الدنيا ، وعلى حدود النابة
يلقى الراعى الصغير الراضى عن نفسه نظرة على مزاميره
البسيط ، وينحرف كالطيف ، ثم يسير في صمت
وسكون ليتناول عشاءه !

الغابة صامتة ساكنة ، لا يسمع فيها صوت
ولا نامة ، اللهم إلا خشخشة أفرع الصنوبر وهي
تهتز في دوائر ودوائر تحت ضوء القمر ...

شعير زهني

(حدائق القبة)

— لقد خلق أحداً للآخر
وما لبثا أن دار في خلدهما أن ملائكة السماء
منهمكة في إعداد عشهما ، وأنها باذلة قصارى
جهدهما للتقريب بينهما
يا للنصر ! وبيا للمعجب ! ها هي ذى الملائكة
الأبدية تنجح أخيراً في ذلك بعد ما كابده من نصب
وآلام ، وبعد المقبات التي كانت تزايد حياها
— ها نحن ذان اللذان كتبنا في السماء كفرد
واحد يجلس هنا

اعزف بنغماتك أيها الحب السعيد ... اعزف
واستمر في عزفك لهذين العززين البريثين ، فلقد
انحسر مد الألوان وجزرها عن السماء ، وتراجعت
شمس النيران الغاربة من الغرب ، وقفزت الأنجم
إلى الأمام وجلة وهي تنسحب أمام القمر الزاحف الذي
يزجج عن كتفيه السحب الفضية المتتابعة بقدميه على
ذرى الصنوبر وهو يرقب السماء

— لوسى ! ألم تحلى بلفافى أبداً ؟
— أواه يا ريتشارد ! لقد كنت رفيق هاتنى
ونجوى خيالانى

— وإنى كذلك .

وبدا القمر صغيراً كما لو كان يطل على الجيبين
في الفردوس مستمرآ في رحلته السماوية الخالدة ؛ فما
كان يحتويهما ليل ، إنما نهار منتقب مقنع ، إذ غص
نصف السماء طرفه حياء ، فلا هو إلى الظلام أدنى ،
ولا إلى النور أقرب ، ولكنه عرش سماوى جمع
بين الاثنين .

— يا من أنت لي ، يا من أنت لي إلى الأبد
رهينة ، همسى في أذنى ...